

مقتطفات من كتاب: " الطب النفسي والغرائز (1) " الباب الثاني: " غريزة العدوان " الملحق (2)

" ليالى ألف ليلة لنجيب محفوظ: القتل بين مقامى العبادة والدم "

نشرة "الإنسان" 2022/10/15

السنة الخامسة عشرة - العدد: 5523



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

رغم أنها قراءة شاملة للعمل الروائى المتميز ليالى الف ليلة لنجيب محفوظ، فقد اخترت لها هذا العنوان الفرعى، لما وصلنى أن هذه الفكرة (القتل/العبادة) هى محورية عبر أغلب الحكايات، ورغم أن نص العنوان لم يرد إلا فى عبارة متأخرة فى الحكاية الثالثة: (ص: 67) على لسان الشيخ على البلخى (العارف-المعلم) مخاطبا عبدالله الحمال (الميت-المتاسخ)، إلا أنها كانت أوضح ما يكون منذ البداية، وبالذات فى الحكاية الأولى (صنعان الجمالى)، وإن كانت الحكايات كلها تجرى فوق أرضية مرعبة من شلالات الدم التى تدفقت من شهوة وجبن وأنانية وذعر شهريار معا.

وقد كان القتل دائما سهلا على نجيب محفوظ يدفع إليه أبطاله أو يجعلهم ضحاياه بشكل سلس مفزع معا، وربما يحدث ذلك دون مبرر ظاهر، مما يجعل قارئه يكاد يوقن كم هو (القتل) حدث تلقائى من صلب طبيعة الحياة، إن لم يكن فى جوهره صلب طبيعة الحياة، إن لم يكن فى جوهره هو الحياة ذاتها، وحتى الموت (الطبيعى) كان كثيرا ما يبدو عند محفوظ وكأنه قتل بشكل ما، وذلك فى أوائل رواياته وقصصه حيث كان يوكل المهمة للقدر أو المرض، لكنه تقدم فى مرحلة لاحقة ليوكل به الفتوات والأبطال، كل فيما يخصه !!، ثم ها هو يفاجئنا إذ يقتحمنا وهو يمد إبداعه فى داخل داخلنا ليجذب جذور القتل الغائرة خلف ما نتوهم أنه نحن، فنتبين أننا قتلة أصلا - بالحق والباطل- وأنا سنظل كذلك ما لم نواصل المسيرة إلى تكاملنا بشرا بحق.

نظرة سريعة نتعرف بها على كم القتل والضحايا فى عمل متوسط الحجم مثل هذا العمل، قد يثبت للقارئ أحقية اختياري لهذه القضية محورا لقراءتى هذا العمل:

فالقتلة يشملون: شهريار - صنعان الجمالى-جمصة البلطجي-(= عبدالله الحمال = عبد الله المجنون البرى) -جلنار- سُمّار حفل سهرة اللسان الأخضر(شروع) -المعين بن ساوى (شروع)- فاضل صنعان، هذا فضلا عن أحكام الإعدام التى تبدو أحيانا قتلا، وأحيانا قصاصا، وأحيانا تكفيرا، هذه الأحكام التى اغتالت: علاء الدين أبو الشامات (شهيدا) وحسام الفقى، والمعين بن ساوى، ودرويش عمران وابنه، وحبظلم بظاظة عقابا، وفاضل صنعان تكفيرا- أما الضحايا و المقتولون فيشملون الأبرياء والمقتولين، وبالصدفة: من أول الطفلة المغتصبة ثم خذ عندك: على السلولى، كرم الأصيل-زهريار-شمول الأحدب (مع وقف التنفيذ!!) يوسف الطاهر-قوت القلوب (مع وقف التنفيذ أيضا ثم القضاء عليها بالسّم) علاء الدين أبو الشامات-المعين بن ساوى-درويش عمران-حبظلم بظاظة، توأم شاور - العجان بائع البطيخ (إعدام بتهمة باطلة) (حتى وفاة قمر العطار بالسّم كانت تعتبر قتلا أيضا).

كان القتل دائما سهلا على نجيب محفوظ يدفع إليه أبطاله أو يجعلهم ضحاياه بشكل سلس مفزع معا، وربما يحدث ذلك دون مبرر ظاهر، مما يجعل قارئه يكاد يوقن كم هو (القتل) حدث تلقائى من صلب طبيعة الحياة، إن لم يكن فى جوهره هو الحياة ذاتها

حتى الموت (الطبيعى) كان كثيرا ما يبدو عند محفوظ وكأنه قتل بشكل ما، وذلك فى أوائل رواياته وقصصه حيث كان يوكل المهمة للقدر أو المرض، لكنه تقدم فى مرحلة لاحقة ليوكل به الفتوات والأبطال، كل فيما يخصه !!.

أولا: إن الكاتب لا يكتب إلا ذاته.

ثانيا: إن ذلك لا يعنى أنه يتكلم عن تجاربه شخصية أو عن فرد محدود باسم وتاريخ، وإنما أئمنى به أن الكاتب يحتوى-بعبوية نشطة-كل تجاربه وانطباعاته

ومنطبعاته(4)] من خارجه  
وداخله جميعا

## الداخل والخارج:

ويجدر بي إبتداء أن أعود لقضيتي القديمة، فما زالت تلح عليّ، وما زال الرفض يُشهر في وجهها معظم الوقت، وهي قضية أو إشكالية الرواية/الراوي/المجتمع، وسأحاول أن أعيد رأبي في هذا الصدد بشكل جديد، فأوجزه قائلًا:

**أولا:** إن الكاتب لا يكتب إلا ذاته،

**ثانيا:** إن ذلك لا يعنى أنه يتكلم عن تجارب شخصية أو عن فرد محدود باسم وتاريخ، وإنما أعنى به أن الكاتب يحتوي بحبوية نشطة-كل تجاربه وانطباعاته ومنطبعاته(4)] من خارجه وداخله جميعا، وإذ تصبح ذاته ثرية - مرنة- مُقلَّلة . في آن: يمضى يعيد تنظيمها من كل ذلك بتوليف جديد، وهو ما قد يظهر في شكل عمل جديد متميز .

**ثالثا:** إن ما يساعد على هذه الرؤية هو تبنى مفهوم تعدد الذوات والتنظيمات والكيانات داخل الذات الفردية الواحدة، ذلك المفهوم الذى أعتبره المدخل لفهم عالم النفس فالعالم، إذ هو المصهر والمحتوى لكل العالم، وعلى قدر مرونة الحركة وجدة التوليف بين هذه الكيانات الكثيرة: يكون الأبداع

وعلى ذلك - فإننى أستطيع أن أتقدم خطوة نحو إيضاح أبعاد هذا العمل من حيث واقعيته، فالواقعية فى العمل الروائى تتجلى بقدر ما يكون هذا العمل موضوعيا، وليس بقدر التحامه بالواقع الخارجى أو وصفه له، فيكون العمل موضوعيا بقدر صدقه وقدرته على استقبال قلقلة شخوص ذات كاتبها بحجمها الحقيقى، ثم مدى قدرته على الإضافة لها وتحريكها وإعادة إفرزها فى عمله بأقل وصاية فكرية مسبقة، أو خيال مصنوع.

هذه الليالى واقعية فى مجملها رغم الاسم والجو الأسطورى، لكن جرعة الواقعية تخف حتى تكاد تختفى كلما تقدمنا خلال العمل حيث يغلب فى نهايته الخيال (لا الحلم) حتى ليفرض نفسه على الحلول المطروحة، كما يطغى الأسلوب التقريرى وتعلو لهجة الخطابة ونبرة الحكمة قرب النهاية أيضا، يحدث ذلك بشكل ملح، لكنه لا ينجح فى أن يبعد العمل عن واقعيته الغالبة، فى البداية خاصة.

والعمل فى مجمله، ورغم تراجع نهايته، إنما يمثل مرحلة متقدمة من رحلة كاتبه فى أغوار نفسه/العالم، وبه نجح نجيب محفوظ فى إعادة إبداع هذا الأصل الفريد، فأعاد خلق بعضه فى دورة تناسخية رائعة، ورغم كل هذه المساحة بين الأصل والتجديد، فنحن لا نملك لهما فصلا، ولكن أية مقارنة تفصيلية تبدو أبعد ما تكون عن المطلوب فى قراءة مثل هذا العمل.

## العفريت.. والوجود:

سبق أن بينت أن نحيب محفوظ قد أخذ بيدنا ليرينا أن عالم عفاريتنا هو وجود مائل فى دواخلنا، وقد صرح بذلك بشكل مباشر، كما كرر الإشارة إليه بشكل غير مباشر فى عمل آخرسبق أن قدمت قراءته(5)]، وفى هذا العمل الحالى يعود ليؤكد هذه المقولة، والوقوف عندها مرة ثانية هو لإثبات بعض أوجه الرفض الذى أعلنه ابتداء عن القتل فى داخلنا - وظيفته وأشكاله-، والعفاريت فى هذا العمل تمثل شخصيات أساسية تتبادل مراكزها بين الشكل والخلفية مع الشخصيات الإنسية التى يحركها الكاتب فى

ثالثا: إن ما يساعد على هذه الرؤية هو تبنى مفهوم تعدد الذوات والتنظيمات والكيانات داخل الذات الفردية الواحدة، ذلك المفهوم الذى أعتبره المدخل لفهم عالم النفس فالعالم، إذ هو المصهر والمحتوى لكل العالم، وعلى قدر مرونة الحركة وجدة التوليف بين هذه الكيانات الكثيرة: يكون الأبداع

الواقعية فى العمل الروائى تتجلى بقدر ما يكون هذا العمل موضوعيا، وليس بقدر التحامه بالواقع الخارجى أو وصفه له

يكون العمل موضوعيا بقدر صدقه وقدرته على استقبال قلقلة شخوص ذات كاتبها بحجمها الحقيقى، ثم مدى قدرته على الإضافة لها وتحريكها وإعادة إفرزها فى عمله بأقل وصاية فكرية مسبقة، أو خيال مصنوع.

هذه الليالى واقعية فى مجملها رغم الاسم والجو الأسطورى، لكن جرعة الواقعية تخف حتى تكاد تختفى كلما تقدمنا خلال العمل حيث يغلب فى نهايته الخيال (لا الحلم) حتى ليفرض نفسه على الحلول المطروحة

العمل فى مجمله، ورغم تراجع نهايته، إنما يمثل مرحلة

براعة مناسبة.

يعلن نجيب محفوظ فى الحكاية الأولى و منذ ظهور العفريت الأول (قمقام عفريت صنعان الجمالى) أنه **وجود داخل الوجود**، أو بتعبير أدق: هو وجود مع الوجود، فهو يتحدث عن كثافة هذا الوجود وثقله، وغشيانه وحلوله واصطدامه بتجسيد أنى لا يسمح للقارئ اليقظ أن يذهب بعيدا عن الذات وتركيبها المتداخل، يقول:

1 - "وغشيه الوجود الخفى ..وسمع الصوت.." (ص33)

2 - "هيمن عليه الوجود الأخر" (ص27) (وهو هنا يشير إلى أن هذا حدث حين أخذ للنوم، لكنه يعلن بشكل لم يعد يحتاج إلى شك أنه لا فرق بين نوم ويقظة، بين وعى الحلم ووعى الصحو: "إن يكن حلما فما له يمتليء به أكثر من اليقظة نفسها" (ص16)

3 - "ارتطمت ذراعه بكثافة صلبة" (ص13) (لاحظ هنا تعبير كثافة وليس جسما صلبا).

4- "جاء صوت غريب..... صوت اجتاح حواسه" (ص14) واجتياح الصوت للحواس جميعا دون الاقتصار على الأذن.. يذكرنا بطبيعة الكثافة والإغارة ومصدرها، ودور الجسد فى المعرفة!!

5- "وتلاشى الغبار تاركا وجودا خفيا جئم عليه فملاً شعوره" (ص38) (لاحظ تعبير ملاً شعوره).

6- "شعر بنفاذ وجود جديد هيمن على المكان" (ص40) (ولا أنكر أنى ربطت، ربما متعسفا بين النفاذ والوجود و المكان، ورجحت أن المكان هو الذات: أساسا!!).

7- "مضى الوجود المهيم يخف حتى تلاشى تماما" (ص41).

8- "طرح تحت ثقل وجود غليظ احتل جوارحه... " (ثم) "فاجأه الصوت مقتحما وجدانه". (ص48).

9- "ولكن الآخر أطلق ضحكة ساخرة، ثم سحب وجوده بسرعة وتلاشى" (ص50).

وأحسب أن استعمال الكاتب لألفاظ الوجود، والاقترام، وامتلاء الشعور، واحتلال المشاعر، والثقل، والكثافة، والغلظة، والسحب، والالتحام، لم يعد يحتاج إلى مزيد من التأكيد بأن الأمر هو كما ذهبنا إليه: عفريتاً فى داخلنا = وجود ثان: عيانى الحضور: تكثيف حركية مستويات الوعى.

وأهمية هذا الاستطراد هو فى ترجيح ما ذهبنا إليه من أن هذا العمل يكشف عن القتل فى الداخل، ذلك الذى يتحرك مع تنشيط الوعى الآخر، القتل بمختلف دوافع انطلاقه وتنوع مساراته ونتاجه.

.....

.....

( ونواصل :لنواكب لعنا نكمل) .

- [1] يحيى الرخاوى، كتاب "الطب النفسى والغرائز (1) غريزة الجنس" (من التكاثر إلى التواصل) و"غريزة العدوان" (من التفكير إلى الإبداع) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى (2022)

- [2] تحديث محدود لمحاضرة "الغريزة الجنسية" ألقيتها فى منتدى أبو شادى الروبى (1998/12/15) ضمن نشاط

متقدمة من رحلة كاتبه فى أنوار نفسه/العالم

نجيب محفوظ فى إعادة إبداع هذا الأصل الفريد، فأعاد خلق بعضه فى دورة تناسخية رائعة، ورغم كل هذه المساحة بين الأصل والتجديد

بينه أن نجيب محفوظ قد أخذ بيدنا ليرينا أن عالم عفريتنا هو وجود مائل فى دواخلنا، وقد صرح بذلك بشكل مباشر

ارتطمت ذراعه بكثافة صلبة" (ص13) (لاحظ هنا تعبير كثافة وليس جسما صلبا).

"جاء صوت غريب..... صوت اجتاح حواسه" (ص14) واجتياح الصوت للحواس جميعا دون الاقتصار على الأذن.. يذكرنا بطبيعة الكثافة والإغارة ومصدرها، ودور الجسد فى المعرفة!!

تلاشى الغبار تاركا وجودا خفيا جئم عليه فملاً شعوره" (ص38) (لاحظ تعبير ملاً شعوره).

أحسب أن استعمال الكاتب لألفاظ الوجود، والاقترام، وامتلاء الشعور، واحتلال المشاعر، والثقل، والكثافة، والغلظة، والسحب، والالتحام، لم يعد يحتاج إلى مزيد من التأكيد بأن الأمر هو كما ذهبنا إليه: عفريتاً فى داخلنا = وجود ثان: عيانى الحضور: تكثيف حركية مستويات الوعى

أن هذا العمل يكشف عن  
القتل في الداخل، ذلك  
الذي يتحرك مع تنشيط الوعي  
الأخر، القتل بمختلف دوافع  
انطلاقه وتنوع مساراته ونتاجه.

محاضرات لجنة الثقافة العلمية: المجلس الأعلى للثقافة .  
- [3] صدر هذا النقد في عمل لي في "قراءات في نجيب محفوظ" الطبعة الأولى (1990) الهيئة العامة للكتاب، والطبعة الثانية (2005) والطبعة الثالثة (2017) منشورات جمعية الطب النفسي التطوري .

- [4] أميز بين الانطباع Impression أو المنطبع Imprint حيث أعني بالأول الانطباع: الميل الفكري العام تجاه موقف أو موضوع، في حين أعني بالثاني المنطبع: Imprint المعلومة المُدخلة بِضْمًا في أوقات التعلم المأزقي الكياني، التي يتميز بها الطفل والمبدع على حد سواء، لكنها تظل الوظيفة الأهم لنوع من التلقى القادر على تغيير التركيب تمهيدا لإعادة التشكيل.

- [5] يحيى الرخاوي " رأيت فيما يرى النائم " مجلة الانسان والتطور الفصلية عدد أكتوبر (1983) المجلد الرابع - العدد الرابع (ص104-137)

إرتباط كامل النص مع المقترفاة:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD091022.pdf>

إرتباط كامل النص

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d9%83%d8%aa%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%ba%d8%b1%d8%a7%d8%a6-20/>

قريبا... 01 جانفي 2023

شبكة العلوم النفسية العربية

تدخل عامها 23 من التأسيس... 20 عاما على الوجود

22 عاما من الكدح في حقول علوم وطب النفس (2000 - 2022)

شارك بتسجيل كلمتك في السجل الذهبي السنوي (الاصدار الثالث عشر) لـ "ش.ع.ن" للعام 2023

شارك برأيك من خلال النموذج التالي

<http://arabpsynet.com/propositions/PropForm.htm>

او على صفحاتنا للتواصل الاجتماعي

<https://www.facebook.com/Arabpsynet> - <https://www.facebook.com/arabpsyfound/>

او على البريد الإلكتروني

[arabpsynet@gmail.com](mailto:arabpsynet@gmail.com)

\*\*\* \*\*

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الوجود

22 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الوجود: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>